فكاهات

بشّر القاتل بالقتل

اذا ذُكرت مدينة لندن تبادر الى ذهن السامع مدينة هي امّ الدنيا ومجتمع زخارفها وغناها فلا يتصور فيها الا السعادة وسعة العيش والرفاهة والترف . غير ان الواقع خلاف ذلك فبين تلك القصور الباذخة والغنى العظيم يرى الناظر اكواخاً حقيرة في اسوأ حالات الفقر المدقع يأوي اليها اشخاص يتضورون جوعاً ولا يرون بين قصور الامرآء ما يسدون بهِ رمقهم ولا تصل اليهم يد الاحسان فيموتون كالزهرة التي تنبت على تربة صخرية وتلفحها الشمس المحرقة فتذبل وتيبس ثم تبدد الريح ذرّاتها فتختفي كأنها لم تكن

وكان في بعض تلك الاكواخ الحقيرة امرأةٌ على فراش من الهشيم وهي في حالة الاحتضار وليس بقربها الا فتى جاثٍ امام فراشها يسكب الدموع السخينة ويتنهد من كبدٍ حرّى . وكانت ملامح المرأة تدل على انها كانت من ابناء النعمة وقد خانها دهرها فهبطت من ذروة السعادة الى حضيض الشقآء . فلما شعرت بدنو اجلها استدعت ولدها الفتى المذكور لتودعهُ الوداع الاخير وتتزود منهُ القبلة الوالدية قبل ان تفارق هذا العالم في سفرها النهائي ولتسرّ في اذنيهِ بعض اخبار لم يطلع عليها قبلاً ولا تود ان يجهلها . وكان في كلامها المتقطع تارةً والمتتابع طوراً ما يدل على رغبتها في استيعاب الكلام قبل ان يعاجلها الموت وكانت تقول لا وقت لي يا حبيبي ادغار اتبادل فيهِ واياكَ كلمات الوداع فلديّ غير ذلك من الحديث المهم يجب ان ابلغك اياهُ فأصغِ وافهم ما اقول . لم يوجدنا الدهر في بدآءة حياتنا في

(١) معربة عن الانكليزية بقلم نسيب افندي المشعلاني

هذه الحالة الذليلة وكان والدك قبل ان اقترن بي يقطن داراً فخيمة في شارع الملكة ولديهِ من الثروة مبلغ يُحسد عليهِ فلما اقترنت بهِ اضفت ثروتي الى مالهِ وصار بين يديهِ مبلغٌ كافٍ من المال فانشأ شركةً تجارية كان يديرها بمعظم الحذق والتدبير فتضاعفت امواله واشتهر اسمهُ وطلبتهُ بعض المقاطعات ليكون نائباً عنها في مجلس الامة . وتعرّف والدك في ذلك الوقت برجل من متمولي البلاد اسمهُ هر برت ديكنس — لا تنسَ هذا الاسم — وبعد ان توالت زيارات هذا الشقي لنا امتلك قلب والدك فأحبهُ واغراهُ ذاك حتى ادخلهُ في شركتهِ ولم يدرِ انهُ قد ادخل الى صدرهِ افعى تنهش لحمهُ وتمص دمهُ . وكان هر برت المذكور يظهر الامانة والوداد والاستقامة وهو يسعى في الخفآء لخرابنا وهدم بنيان سعادتنا تدفعهُ الى ذلك عوامل الخبث والحسد التي توجد غريزية في بعض الناس . ولا يسعني في هذا الوقت القصير ان اقص عليك تفاصيل اعمالهِ الشريرة ولكن كان من نتائجها ان المرحوم والدك طُرد من مجلس الامة مهاناً متهماً بافشآء اسرار المجلس ولولا مساعدة بعض المخلصين لهُ من اهل الخير لنفذ الحكم عليهِ بالاعدام . ولم يقتنع هر برت بذلك فعمد الى تجارة والدك ولم يمضِ الوقت الطويل حتى اصبحت تلك الثروة الطائلة في خبر كان وعاد والدك المسكين من سعة عيشهِ الى مبيع املاكهِ ومقتنياتهِ ولم يبقَ لهُ سوى القصر الذي كنا نقطنهُ واستولت عليهِ عوامل الغم واليأس فكان يقضي اوقاتهُ ساكتاً صامتاً شاخصاً الى السمآء متأملاً في احكامها . وكان اذا دفعهُ عامل الغضب الى الانتقام من هر برت يعود فيقول كلا فالعقاب لله وحاشَ لي ان اغارضهُ فيهِ

وفي ذات ليلة كان والدك في الحديقة كعادتهِ وانا في غرفتي اتضرع اليه تعالى ان يعوّض على زوجي المسكين بما يخفف آلامهُ واذا بباب غرفتي قد فُتح ودخل عليّ اللعين هر برت في حالة سكرٍ عظيم فلم اتمالك ان صحت مستغيثةً وكأنهُ خاف العاقبة فخرج وكان زوجي قد سمع صراخي فاسرع ليرى السبب فاستقبلهُ هر برت بمسدسه واطلقهُ عليهِ فأصابت رصاصتهُ عين والدك ونفذت من مؤخر رأسهِ فسقط

قتيلاً . . . . وقد سعيت بعدها بمحاكمة هذا الشيطان اللعين فألقت الحكومة عليهِ القبض ولكنهُ استخدم غناهُ و بذر مقادير وافرة من الاصفر الرنان فأخلت الحكومة سبيلهُ بحجة ان ما صنعهُ كان عن سكرٍ لا يعاقب عليهِ . ولما رأيت ان العدل قد مات في هذه البلاد كظمت غيظي واخفيت المي الى ان يتيسر لي الانتقام وللحال بعت القصر وحديقتهُ واويت الى هذا الكوخ الحقير الذي اراهُ خيراً من افضل القصور التي يتنعم بها من البشر اقوامٌ ليسوا الا من القتلة واللصوص وارسالتك الى حيث تلقيت دروسك . وانا انفق من المال المتحصل لي بغاية الاقتصاد والتدبير الى الآن وقد بقي لي منهُ خمس مئة ليرة لا غير تجدها في كيسها الجلدي تحت فراشي . . . . والآن يا ولدي الحبيب قد اطلعتك على كل شيء اما انا فسأموت وسأتركك لتبني لك مستقبلاً بهذه الدراهم الباقية لك غير اني على فراش موتي هذا وفي دقائقي الاخيرة استحلفك يا ولدي بتربة والدك المقتول غدراً و بدمهِ المهدور ظلماً ان تقسم لي الآن امام السمآء وفي دقيقة الموت الهائلة ان لا تقدّم امراً من امور حياتك على الانتقام من ذلك الملعون هربرت . لا . لا . اني لا انزل الى قبري بسلام ما لم اعرف يقيناً ان هربرت ديكنس لا ينزل الى قبرهِ الا ملطخاً بدمٍ كالدم الذي سفكهُ من والدك . فهل تعدني يا ولدي وهل تقسم لي ان تقوم بهذا الامر

وكان ادغار مصغياً الى كلمات والدتهِ والحزن يقطع احشآءهُ وقد زاد فوقهُ حب الانتقام من الوغد الذي جر على والديهِ وعليهِ ذلك البلآء فاكسبت هذه العوامل وجههُ هيئةً وحشية مخيفة فنهض وهو يحاول اخفآء عبراتهِ وقال بصوتٍ ابحّ اشبه بحشرجة الموت

« انا ادغار فرسكيل اقسم في هذه الساعة الرهيبة التي ارى فيها والدتي تفارق العالم الحاضر الى ديار الابدية . اقسمُ بمقتل والدي السيئ البخت . و بانفاس والدتي المسكينة و بالشرف و بكل مقدس لديّ ان اسعى من الآن في البحث عن هربرت ديكنس وان انتقم منهُ بقتلهِ جزآء ما جنت يداهُ على والدي وما جرّت اعمالهُ علينا من المصائب »

وعقب هذا القسم سكوت عميق زادهُ هولاً لم يسمع في اثنآئهِ سوى تنهدات المائتة الضعيفة وضربات قلب ادغار المتهيج ثم مدّت الام يدها فامسكت بولدها وادنتهُ منهـا فطوقت عنقهُ بذراعيها وقبلتهُ بتبسم وقالت الآن اموت مسرورة وسأخبر والدك ايضاً انك ستنتقم لنا ولك فاحفظ عهدك ولتباركك السمآء . ثم تصاعدت انفاسها وهي شاخصة الى ابنها وهكذا دخلت باب الابدية ولم تبقِ في هذا العـالم الا جثتها الباردة

و بقي ادغار بعد موت والدتهِ مدةً لا يهنأ لهُ عيش ولا تطيب لهُ اقامة فكان يقصد الغابات المقفرة او شاطئ البحر ويجلس هناك الساعات الطوال في التفكر وتأمل الطبيعة وفي صدرهِ من الافكار والمقاصد ما لا يعلمهُ الا الله . وكان ادغار ايام وجودهِ في المدرسة قد أُولع بقرآءة الروايات والتواريخ فتعلق بها ولما اصبح في حالة العزلة هذه خطر لهُ ان يؤلف روايةً ففعل ثم طبعها تحت اسم مستعار فلم تلبث ان انتشرت انتشاراً سريعاً فأتبعها باخرى وهكذا حتى اشتهر اسم هذا الكاتب المجهول ورأى ادغار ان مكاسبهُ وافرة وان رأس مالهِ يتضاعف فانقطع الى هذا العمل وهو في اثنآئهِ يبحث عن محل وجود هربرت ديكنس للقيام بقسمهِ الذي لابد من انفاذهِ

والقت التقادير يوماً ادغار في باريس فاستطاب سكناها ورأى فيها من ربات الجمـال واختلاف الاحوال ما يساعدهُ على كتابة رواية يهتم بتأليفها فاقام في البلدة اياماً . واتفق انهُ ذهب مرةً الى احدى الحدائق العمومية فرأى على مقعدٍ فيهـا فتـاة جميلة الصورة رشيقة القوام فاعجب بمنظرها وجلس على مقعدٍ بازآئها وجعل يتفرس في هيئتها فيجد فيها من معاني الحسن ما يزيدهُ شغفاً بحبها وشوقاً الى التعرف بها وكانت الفتاة تقرأ في كتابٍ عرفهُ انهُ من مؤلفات شكسبير الشاعر الانكليزي الشهير . وبينما هو يفكر في كيف يفتتح معها الحديث اذ جآءت فتاةٌ اخرى فحيتها باسم أليس ثم تخاصرتا وسارتا معاً حتى غابتا عن عينيهِ . فشعر ادغار ان قلبهُ يفارقهُ معها وعلى الخصوص عند سماعهِ اسمها وهو اسم والدتهِ فجددت في صدرهِ جراحاً اليمة . واكثر ادغار بعد ذلك من التردد الى الحديقة المذكورة فكان يرى في كل مسآء

فاتنتهُ هذه ولحظت هي منهُ الولوع والانشغاف واعجبها شبابهُ فاحبتهُ كما احبها ولم يخفَ ذلك على فطنة ادغار فما صدق ان رأى منها ميلاً اليهِ حتى رفع لهـا قبعتهُ محيياً فاجابتهُ بلطفٍ فاقترب اليها وخاضا في بحار الحديث الذي يجرّ الى اوقيانوس الغرام . ولما ارادت الانصراف طلب مرافقتها فسمحت لهُ فسار معها وهما في حديثٍ شاغل قالت لهُ في نهايتهِ اعلم يا هذا انني احببتك كما تحبني فارجو منك ان تخبرني صريحًا ما هي افكارك وما هو غرضك من هذا الحب فاني لم امل الى سواك قبلاً فاذا كنت تضمر حبًا صحيحاً يفضي الى سعادة العيش فعاهدني على ذلك والا فان كنت كاكثر فتيان العصر تتسلق الشجرة وتخاطر بحياتك لتقطف ثمرتها فاذا حصلت عليها مصصتها بين اسنانك وطرحتها الى الارض فدستها بقدميك فأعلمني من الآن كي اكون على بصيرة وفي يقيني انك شريف الاصل لا تخونني في الجواب. فقال ادغار رويدكِ ايهـا الملك الطاهر اني لست من جملة أولئك الفسَدة الاراذل وانا مثلكِ لم احب قبلكِ فاذا كنت تقبلينني قسيماً لمستقبلكِ فاني اعاهدكِ امام السمآء التي فوق رؤوسنا اني اكون وفيًا لكِ الى الموت . لكني لا اكتم عنكِ اني مقيدٌ بنذر فلا يمكنني الاقتران قبل وفآئهِ . قالت وما هو هذا النذر وهل يقتضي الوفآء بهِ زمنًا طويلاً . فجعل ادغار يسرد لها تاريخ اسرتهِ كما مرّ وانهُ لا يتخلص من قسمهِ ولا يمكنهُ الزواج قبل الانتقام ممن كان سببًا في خراب اسرتهِ . وكانا قد قربا من منزلهـا فقالت ومن هو هذا اللئيم الذي قضيتَ عليه بالموت . قال لا اعلم شيئًا عنهُ سوى ما ذكرت واخالهُ حيوانًا في جسم انسان واسمهُ هربرت ديكنس . وما ذكر ادغار هذا الاسم حتى وقفت أليس امامهُ كلبؤةٍ قد فقدت شبلها وقالت ماذا تقول أتريد ان تقتل هربرت ديكنس والدي . فصعق ادغار لهذا الاتفاق ووقف كالمبهوت لا ينطق ببنت شفة. فاقتربت أليس منهُ وقالت لا يا حبيبي ادغار لا تلطخ يدك الطاهرة بالدم . اني اتذكر الآن وافهم الحديث الذي كان يقصهُ عليّ والدي وما كنت افهمهُ حينئذٍ ولكنني اتمثلهُ الآن كما هو . فاعلم ان والدي منذ اربع عشرة سنة يكفّر عن ذلك الذنب الذي دفعهُ اليهِ جهلهُ الاعمى

واؤكد ان ضميرهُ عذبهُ مدة هذه السنوات اكثر مما تتصور ان تعذب جسمهُ انت . وكثيرًا ما سمعتهُ يتأوه ويتحسر وهو لايدري بأي وسيلة يكفّر عن ذنبهِ وفي هذه المدة كلها لم يفتر عن الصلوات وفعل المبرّات وتوزيع الحسنات فاياك ياحبيبي ادغار ان تسيء اليهِ وهل يردّ عليك قتلهُ شيئًا من عزك الاول ووالديك ام بالاحرى يبعد عنك من اعترفتَ بحبك لها وتكون قد خسرت سعادةً اخرى . فدع والديك مستريحين في قبرهما وانسَ الماضي وانظر الى المستقبل فهو يشير اليك بالسرور . تأمل مليًا فيما اقولهُ لك وقابلني غدًا في الحديقة بعد ان تقرّ على ما تنويهِ فاما ان نفترق في الحال واما ان تنسى ما مضى وتعتاض بي عما خسرت . وكان ادغار غارقًا في تأملاتهِ يسمع وكأنهُ لا يفهم فولى ظهرهُ مدفوعًا بقوةٍ غير منظورة وسار الى بيتهِ وهو كالتمثال المتحرك . وقبل ان تغمض جفنيهِ سنة الكرى طُرِق بابهُ فهبّ مذعورًا واذا بشرطي ورجال الشحنة قد احدقوا بهِ فاقتادوهُ الى السجن و بينما هم في الطريق علم منهم ان المستر هربرت ديكنس بينما كان راجعًا الى بيتهِ في ذلك المسآء اصابتهُ رصاصة في عينهِ اليمنى اخترقت دماغهُ فسقط قتيلاً وان ابنة المقتول اتهمت ادغار . فقال ادغار وهل قُتل المستر هربرت حقيقةً . قال الشرطي نعم قتل . فتبسم ادغار وقد رأى ان الاقدار تولت عنهُ حلّ هذا المشكل بينهُ و بين حبيبتهِ وسار صامتًا . وفي الغد سألهُ قاضي التحقيق عن مقتل هربرت فانكر تمام الانكار وصرّح بما كان يضمرهُ لهُ ولكنهُ اصرّ على انهُ ليس هو القاتل . ولما لم يرَ القاضي الادلة الكافية لاثبات التهمة عليهِ امر بسجنهِ الى ان تتجلي الحقيقة . وفي اليوم الثاني ورد على ادغار رسالة من أليس تقول فيها «اني لا اعلم لوالدي عدوًّا سواك ومع شدة تعلقي بك فاني ارى ان الحقوق الوالدية اهم واولى بالمراعاة من حقوق الحب ولذلك فضلت اتهامك على اخفآء امرك ولكنني لا ازال احبك ولا اعلم السبب . وقد بلغني من تقريرك ما جعلني ارتاب جدًّا في الامر فاستحلفك يا ادغار ان تظهر الحقيقة على وجهها فاذا كنت انت القاتل فلا ينبغي ان تكون جبانًا فاعترف بما فعلت وساعدني على سلوّك واذا كنت بريئًا فبرهن على ذلك فيطلق سراحك وتعالَ الى من لا

نصير لها في هذا العالم الواسع اليتيمة المسكينة
أليس »

وتابعت المحكمة التحقيق فلم تقف على شيء جديد وقد كانت الادلة كلها تؤيد التهمة على ادغار ولم يكن ما ينفيها سوى انكاره فقط ومضى عليه في سجنه اسبوعان ذاق فيهما امرّ البلاء الى ان اتته يوماً رسالة اخرى غفل من التوقيع فيها ما صورته

« ايها العزيز الذي لا اعرفه — للدهر في تصاريفه غرائب . انني كنت اترصد خصماً لي منذ خمسة عشر يوماً للفتك به الى ان مرّ امامي شبح ظننته عدوّي فاطلقت عليه غدارتي فاصبته فمات ولكن لسوء الحظ تبين لي في اليوم الثاني ان القتيل رجل غير الذي اطلبه فشقّ عليّ ذلك جدّا وخشيت عاقبة القضاء ولكنني ما عتمت ان علمت بما كان من وقوع التهمة عليك ووجدت ان القدر شاء ان يعفيني من قبح السمعة وعقاب الشنق فساقك الى تحملها عوضاً عني . وبما انه قد قضي الامر ولا يسهل عليّ ان اسعى بنفسي الى الوقوع فيما قُدّر لي النجاة منه فغاية ما استطيعه ان اظهر لك شديد اسفي ولكي لا اترك خدمتك هذه بدون مكافأة فقد وضعت لحسابك في البنك مبلغ خمسة آلاف ليرة يمكنك ان توصي بها لأهلك اذا كان فيهم من يضره موتك وفي الختام تقبّل شكري لك وترحمي على شبابك »

فلما قرأ ادغار هذه الرسالة استغرب الامر جدّا ثم طلب المثول امام قاضي التحقيق واطلعه على الرسالة فانقلب محور العمل وايقن القضاة ببراءة ادغار فاطلقوا سراحه وما زال رجال الشحنة السرية يجدون في البحث والتنقيب على ما هو مشهور من اعمالهم الغريبة حتى ادركوا كاتب الرسالة واجبروه فاقرّ انه هو القاتل عن غير قصد لانه كان يريد الانتقام من رجل آخر كانت بينهما عداوة شخصية فاستلمه القضاء

اما ادغار فعاد الى أليس وكان سرورها ببراءة حبيبها يخفف عنها لوعتها لمقتل والدها وبعد ان اتمت ايام الحداد اقترنت بادغار وعاشا عيشة سعيدة لا يشوبها كدر سوى تذكر والديهما وشقاء ايامهما الماضية